الندوة

« الناس والحب »

مجموعة قصصية بقلم الاستاذ ابو المعاطي ابو النجا

مناقشة : الدكتور عبد القادر القط والدكتور شكري عياد

بدات الندوة (*) بالاستماع الى احدى قصص المجموعة وهي قصة « الصمت » وتلا ذلك الاستاذ الدكتور عبد القادر القط .

د. عبد القادر القط : الاستاذ ابو المعاطي ابو النجا من اكثر ادبائنا موهبة في القصة القصيرة ، ومن اشدهم اخلاصا لفنه . وهذا الاخلاص يتبدى في طريقة كتابته ، تلك الطريقة التي نحس فيها بالاناة والتعمق ، فهو يلتقط موقفا واحدا ثم يصوره بكل تفصيلاته وجزيئاته حتى يجعل منه شيئا كبيرا له دلالات اجتماعية ونفسية خاصة ، بعيدة ربما عن بريق القصة الاجتماعية أو التي تعتمد على كثير من الاحداث . وهذه الاناة قد اكسبت فنه صفة خاصة يغلب عليها الجانب الفكري . تجلى هذا الفكر في مجموعتيه السابقتين « فتاة في المدينة » و « الابتسامة الغامضة » ، وان كان هذا الفكر لا يصل الى حد الجفاف ، ولا الى البعد عن الطبيعة الانسانية في التصاقها بالحياة وبالمجتمع . والاستاذ ابو المعاطي ، كما قلت ، يتناول الموقف ويفتته كما تفتت الماسة ، ان صح هذا التعبير ، الى قطع صغيرة لها نفس البريق والاصالة التي نجدها في القطعة الكبيرة . لكنه ربما فتت هذه القطعة احيانا اكثر مما ينبغي ، حتى تفقد صلتها بالماسة الام ، ان صح هذا التعبير ايضا . وقصة الصمت التي استمعنا اليها الان ربما لا تكون اكثر قصص المجموعة تمثيلا لهذه النزعة عند الاستاذ ابي المعاطي، ولكنها مع ذلك تحمل كل سمات فنه . فيها التقاط هذا الموقف الواحد، الموقف النفسي ، وفيها هذه التفصيلات والجزئيات الكثيرة ، ثم فيها بعد ذلك هذا المعنى الانساني الذي ينتظم المجموعة كلها « الناس والحب » . فهو في هذه القصة يتحدث عن الحب بمعناه الواسع ، بمعنى المحبة ان صح التعبير ، فيشمل العلاقات الانسانية بما فيها هذه العلاقة بين تلك الفتاة الصغيرة وبين من تخدم ، وفيها بعد ذلك تجديد لهذه المحبة اذ تعود الضحكة الى سعدية ويعود الرضا بهذه الضحكة الى سيد البيت .

هذه النزعة ، كما قلت ، نزعة فكرية ، ولكن لها ولا بد ان يكون لها ، اثرها في فنية القصة . وفي بعض القصص نجد شيئا من التطويل اكثر مما ينبغي ، وشيئا كثيرا من الحوار . وفي هذه القصة التي استمعنا اليها ، مع قصرها ، نلمس هذا التطويل . ثم هناك ظاهرة اخرى ، وساتحدث عن هاتين الظاهرتين بالتفصيل فيما بعد ، هناك ظاهرة اخرى نابعة من طبيعة الكتاب وحديثه عن الناس والحب . هي بعض الاسراف العاطفي في تصوير الحب . وخاصة في تصوير علاقة الحب بين الرجل والمراة . ولا ادري ان كان انكاري لهذا يعود الى طبيعتي الشخصية ، أن ان اعتراضي عليها يمثل حقيقة فنية أو نفسية ، ففي بعض الاحيان يصل وصف هذه العاطفة الى شيء من الاسراف غير مقبول عند انسان بلغ حد النضج العاطفي والفكري . والناس في هذه القصص يبدون على شيء كثير جدا من الفضول وحب الاستطلاع نحو العلاقة العاطفية بين شخص واخر ، بحيث يشغلون انفسهم بهذا الامر بطريقة مسرفة . ولست احب ان اخوض في التفصيلات قبل ان نستمع الى راي الدكتور شكري عياد . ولكن احب ان اقول ان كل هذا الاسراف العاطفي لا يخلي القصة من الاسلوب الذي عرف به الاستاذ ابو المعاطي ، في قدرته على تفتيت الموقف الواحد بطريقة اصيلة مبتكرة ، والاهتداء الى تعبيرات شعرية تمنح القصة دلالات عالية وتجعل للموقف صورة جديدة غير الصورة التي بدا بها .

د. شكري عياد : سيكون كلامي اتصالا لكلام الدكتور عبد القادر القط بالنسبة لمسالة العاطفية هذه . اذا كان يلاحظ على هذه المجموعة شيء من الاسراف العاطفي ، فانه يخيل الي ان مرجع ذلك الاسراف في جانب كبير منه ، الى صدق الكاتب . فنحن لا نزال في مجتمعنا نعيش مقفلين على انفسنا في اغلب الامور العاطفية ، خاصة بين الرجل والمراة . فهي صلات تحيط بها هالات من الاوهام والمخاوف اكثر مما يوجد بها من نسيج العلاقات الانسانية الحقيقية . هو اذن يعكس ، وباخلاص ، هذه الصورة من حياتنا . والحق ان الرحلة الرومانسية لم تنته من حياتنا نهاية حقيقية ، ولا داعي لان نتعجل النهاية . ولا اظن ان انتهاء الاحساس الرومانسي في القصة سينتهي نهاية تامة . ولسوف تظل القصة القصيرة ، او هذا هو ما يجب ان تكون عليه ، على نفس هذا الحس الرومانسي الى ان يحدث التغير في الواقع الاجتماعي نفسه ، حتى تغدو العلاقة بالفعل وفيها تماس حقيقي وصراع حقيقي بين الشخصيات ، اكثر مما فيها من حياة الاوهام هذه . ولعلي انا والدكتور عبد القادر القط كنا نتخيل انهذه هي الحياة التي عشناها ونحن في سني الشباب . ولكن على المرء ان يحاول الان ان يقرا بعين مفتوحة انتاج من هم اصغر سنا منا . ومن هنا الاحظ ان في هذا الانتاج نفس احاسيس الخوف والوهم سيطرة ، وهذا صادر عن شعور حقيقي . وفي الحقيقة اريد ان اقول ان اخر قصتين من المجموعة يمكن ان تكون العاطفية المسرفة هذه شديدة فيهما الى حد بعيد ، ومهما قلت من اننا لا بد ان نكون صادقين مع انفسنا في تصوير واقعنا فان علينا ان نلتقط من الاشياء ما يعيد تشكيل هذا الواقع ، فالذي يحدث في الادب الروائي انه يستمد نماذجه من الحياة وان كانت هذه النماذج في نفس الوقت ، تعود الى الناس فيعتقدون بها ويقلدونها ، اي انها تنعكس سلوكا حيويا بالفعل . واذن فالكاتب مسؤول عن تناول الجوانب الاصلب والاثبت من صور المجتمع المحيط به .

د. عبد القادر القط : هذا ما كنت اريد ان اعلق به على كلام الدكتور شكري عياد . وهو انه قد توجد في الحياة هذه النماذج وهذه العاطفية المسرفة ، ولكن الكاتب مطالب بان يتخذ موقفا من هذه العواطف ، أو ان يجعلها دراسة نفسية . ولكن مأخذي على هذه القصص ، أو بعضها، ان هذه العاطفية بالصورة التي تكتب بها لا تخلو من شيء من التمجيد لهذا الاسراف ، نوع من الاعتراف به ونوع من الخروج بدرس نفسي او اخلاقي ، او نظرة خاصة الى الحياة لا تتناسب، او لا يمكن ان يخرج بها المرء من هذه المواقف العاطفية . مثلا في قصة « ذراعان » وهي قصة شاب جالس في السينما والى جانبه فتاة . ذراعه يحتك بذراعها ، والقصة تصور هذه اللحظات النفسية الى ان يخرج الناس من السينما ، ويفترق الفتى عن الفتاة ولا يراها بعد ذلك ابدا . والقصة تحكى على لسان الفتى نفسه وفي هذه الحالة من المفروض انك اذا كنت ستوردها على حالتها بذلك الشكل ، اما ان تكون دراسة نفسية لهذا الشاب لا مجرد عرض لهذا الموقف ، واستنتاج

(*) ادار الندوة ابراهيم الصيرفي .

نقاط نفسية ذات دلالة خاصة . بالنسبة لموقف الانسان من الحب نجد القصة تنتهي هذه النهاية : « ... مرة واحدة التفتت جارتي خلفها قبل أن تغلق وراءها باب التاكسي الذي ركبته الاسرة أمام «السينما» . كنت واقفا على الرصيف في انتظار تلك النظرة التي كانت اخر عهدي بتلك الفتاة . وحتى بعد ان اختفى التاكسي في نهاية الطريق وبعد أن أصبحت المسافة بيننا كبيرة جدا الى درجة لا تصدق .. كنت أحس انه لا فرق أبدا بينها وبين تلك المسافة الضيقة التي كانت تفصل بيننا حين برز الناس فجأة » . هنا يوجد معنى وجودي ، هو ان الاخرين هم الذين يفرضون الحدود ويفرقون بين العواطف النبيلة . لكن لا توجد في الحقيقة عواطف ولا صلة يفرقها الناس .. لم تحدث صلة عاطفية لنقول ان الناس فرقوها . فالصورة العاطفية التي ترسمها القصة لا تفلح في الوصول الى مثل ذلك المعنى الانساني الكبير. وحين نصغي الى ما يقوله الشاب في وصف جارته « فستانها غامق الزرقة يفضح بشكل حاد بشرتها الناصعة ، وينم من خلال فتحاته عن جسد بديع ، يعبر في كل حركة عن ضيقه بما يحيط به من قيود حريرية ناعمة » (ص ٥١) . هذا كلام أعتقد ان المرء لا يقبله الا ان صدر من قصيدة شعرية ، لان القصة تعبر عن لحظات نفسية خاصة يريد المرء أن ينتهي منها الى دلالة انسانية عامة .. وكذلك ما يرد في القصة على لسانه : « لا شك انها فهمته كحدث عرضي لا يعني شيئا ، لم أعد أشك في انها فتاة عاقلة ، وان ذراعها ـ والتحديد الجزء الذي لمسته منها ـ أرق وأنعم شيء لمسته في حياتي » (ص ٤٨) . انا لا استطيع كقارىء أزعم اني قد وصلت الى نوع من النضج العاطفي ، الا أن « أكش » على حد تعبيرنا من هذا الكلام قليلا . تلك هي وجهة نظري ، فما رأيك فيها يا استاذ ابو المعاطي ؟

أبو المعاطي أبو النجا : أرى أن ننظر الى القصة نظرة كلية ، أي لا داعي لان نقف عند الجزء الاخير منها الذي قرأته ، وهو الجزء الخاص باحساسه بالناس أو احساسه بالاخرين . أريد أن أقول أن حدوث هذه التجربة ، أي أن يوجد شاب واضح انه طالب في الجامعة مثلا ، في مجتمع معين ، ويذهب الى السينما ، واضح ان هذا الشاب لم تتح له فرصة عادية أو طبيعية لان يعيش علاقة عاطفية بشكل طبيعي . ولو كانت هذه العلاقة قائمة لما رأى الموقف بهذه الصورة قطعا ، تلك الصورة التي رآه بها وهو يعيش في مجتمع لا يعطي الفرصة الكاملة للارواء العاطفي ، بشكل عادي أو طبيعي . أريد أن أقول أن هذا الاحساس وهذا الاهتمام وهذا الوقوف عند هذه الحكاية وهذا التصادم العادي الذي لعله ما كان يحدث أي اثر بالنسبة لانسان يحيا علاقة كاملة ، كل هذا له دلالته بالنسبة للمجتمع الذي يعيش فيه هذا الشاب . هذه مسألة يجب أن نقف عندها . وبعد هذا أقارن بين مجتمع هذا الشاب ومجتمع آخر في السينما .. تأتي به الرواية المعروضة ..

د. عبد القادر القط : هذا جميل جدا في القصة ..

أبو المعاطي ابو النجا : .. اريد ان اقول هذا موجود : احساس هذا الشخص الذي يمكن ان نقول انه شكل صرفي لانه مبالغ فيه وحساس جدا .. الخ . وهذا أمر له دلالته الاجتماعية العامة .

د. عبدالقادر القط : الكلام الذي يقوله الاستاذ ابو المعاطي صحيح. لكن القارىء، بصورة ضمنية، يستطيع أن يحس هذا ، بيد أن الصورة الجميلة التي يرسمها المؤلف لهذه التجربة العاطفية تطغي على هذا الاحساس بحيث لا يشعر القارىء ان الكاتب يريد امتاعه بهذه التجربة ، اكثر مما يريد ان يفتح عينيه على أوضاع اجتماعية خاصة.

د. شكري عياد : أنا فاهم لوجهة نظر الدكتور عبد القادر القط بالتأكيد . فالشخصيات كما وصفها المؤلف ، شخصيات يمكن ان نصف حساسيتها بأن فيها درجة من الرصد ، وانها يمكن ان تعالج علاجا واقعيا . ولهذا العلاج الواقعي من نواح كثيرة ، من الناحية الاجتماعية ومن الناحية الفنية ايضا ، له مزايا كبيرة . لكنني أتردد بعض التردد حين أوجه نقدا من هذا النوع الى كل هذه المجموعة ، لاني أخشى أن يكون هذا مما يصطدم بحساسية المؤلف نفسه ، او طبيعة تلقيه للحياة . ذلك اني أرى أن في المجموعة من أولها الى اخرها نوعا من الحنين الغامض الى التقاء النفوس ، ربما في كل قصة ، يتضح هذا في شكل من الاشكال . لو استعرضنا كل قصص المجموعة لامكن أن نجد فيها تلك السمة . في القصة الاولى « الناس والحب » يتضح اجتماع كل ركاب الاوتوبيس على القصة التي يشاهدونها او يتبعونها .

أبو المعاطي أبو النجا : كنت أريد أن أعلق على كلام الدكتور عبد القادر القط عن هذه المسألة ، ولسوف أرجىء حديثي حتى تفرغ من كلامك ..

د. شكري عياد : و قصة « الصمت » ، القصة التي استمعنا اليها ، فيها هذا النوع من الاتصال بين البنت والسيد . هذا الاتصال نستطيع أن نقول انه اكتشاف لامكان او لضرورة قيام صلة انسانية بين هذين الآدميين . وفي القصة التي استشهد بها الدكتور القط الان ، وفي قصة « زيارة » التي يلتقي فيها الابن نستطيع ان نقول بروح أبيه أو بذكرياته عن أبيه ..

د. عبد القادر القط : هذا معنى واضح جدا .

د. شكري عياد : ... فيه نوع من الحساسية بالحياة ، نوع من الحنين الى ان الحياة يخلو منها هذا النوع من الاتصال . واذن فلا أستطيع أن أكلفه بذلك العكوف العلمي على تشريح .....

د. عبد القادر القط : لا .. علمي لا ..

د. شكري عياد : أعني المتأثر بروح العلم ... على تشريح عواطف حية ، انما أقول انه ، بنوع من رهافة الاحساس ، يستطيع بالفعل أن ينقذ نفسه من التدلي الى ما يسمى بالعاطفية الدامعة او المتهافتة والتي هي عيب شديد وقاتل في الكتابات الرومانسية في الحقيقة ، وذلك بدقة ملاحظته حتى في هذا ، وبتسجيله للخواطر الصغيرة ، الفتافيت كما يسميها الدكتور عبد القادر ، هو فعلا قادر على انقاذ قصته وانقاذنا أيضا من هذا التمييع البغيض في بعض الاعمال الرومانسية .

د. عبد القادر القط : قبل أن يرد الاستاذ أبو المعاطي على الكلام الذي قلته أريد أن أكمل وجهة نظري حتى يرد على فكرتي مرة واحدة . الكلام الذي يقوله الدكتور شكري عياد كلام صحيح من الناحية النظرية العامة ، لكنه ليس كذلك من ناحية التطبيق على هذه القصص . ففي بعض الاحيان تفرض هذه الحساسية الخاصة وجودها على الوجود الحقيقي للشخصيات والمواقف فتحيل الناس الى صورة قد تبعد قليلا عن طبيعة الناس ، حتى في مجتمع ربما كان فيه الفضول الزائد تجاه هذه التجارب العاطفية للاخرين . فمثلا في القصة الاولى في المجموعة ، « الناس والحب » ، يقول عن الناس ، ومرة أخرى أكرر اعجابي بتلك التعبيرات الشعرية التي أجدها في هذه القصص ، حتى في المواقف التي أستشهد بها على مآخذ كهذا الموقف . يقول : « ومضى يوم اخر وثان وثالث ، (وقد كان الناس فرحين بهذه القصة العاطفية أن تحدث أمامهم في الاوتوبيس حين يرون البنت والولد يركبان معا) وسيطر على العربة كلها شعور كئيب بأنها فقدت شيئا ، (وهنا تتضح المبالغة) وكفت الوجوه عن الحركة ، وتلاشت الحدود الفاصلة بين المؤيدين والمعارضين ، وشمل الجميع احساس خفي بالذنب ، وكان الحوار لا يزال يدور في العربة ، ولكنه لم يعد حوارا ... كان صوتا واحدا تردده العربة بأفواه كثيرة ، وكأنها تحدث نفسها ...

« أتعتقد انهما سيرجعان ؟

« لا أدري ، ربما ...

« كانا رائعين ..

« القرف ، لم أعد أطيق العربة

« لقد فكرت أن آخذ عربة أخرى .

« ولماذا لم تفعل ؟

« أحيانا أفكر انهما سيعودان .

« ليس هناك أجمل من رؤية حبيبين .

« لماذا يولع الناس بتحطيم الاشياء الجميلة ؟

« العربة هي التي ...

« ربما لم يفترقا ، وربما حدث بينهما خلاف ..

« كل شيء جائز ، ولكن هـذا لن يغير الموقف بالنسبة للعربة » (ص ١٥) .

ومرة أخرى يرد في نفس القصة ، وهذا تعبير جميل أعجبت به .

« ومع ذلك فقد كنت أشاهد العربة في قلب الطريق ، والعيون في داخلها تتقارب وتمتزج وتصبح عينا واحدة كبيرة في رأس واحد كبير يملأ العربة ، يملأ فيها كل مكان ، فلا تستطيع الفتاة ان تتحرك » . كل هذه تعبيرات شعرية جميلة ، لكنني أعتقد ان حدة احساس الكاتب بموضوعه يعطي ، في بعض الاحيان ، صورة غير طبيعية الى حد ما ، للناس وانشغالهم بهذا الموضوع العاطفي ..

ابراهيم الصيرفي : وهل يتنافى أن تكون غير طبيعية مع كونها فنية .. هذا سؤال ؟

د. شكري عياد : هل لي أن أتدخل ؟

د. عبد القادر القط : نعم .. نعم ..

د. شكري عياد : أتذكر المجموعة الاولى « فتاة من المدينة » للاستاذ ابو المعاطي ابو النجا . كان التنظيم الفكري في الاطار المعين الذي تخيله الكاتب والذي يتفق مع حساسيته الخاصة ، يسيطر سيطرة شديدة اكثر مما نرى في هذه المجموعة . ولعل هذه كانت ملاحظتي على تلك المجموعة حين صدورها ...

د. عبد القادر القط : أذكر .

د. شكري عياد : وهذا يتفق مع ما يقوله الدكتور القط في ناحيتين : الاولى ملاحظته للجوانب الفكرية وبروزها في القصة ، وملاحظته الثانية التي أوردها الان عن ان رسم القصة قد بولغ فيه قليلا ... مبالغة بالطبع يراد بها أن تؤدي هذه الفكرة التي تتفق مع حساسية الكاتب . لانه من البداية في قصة « الناس والحب » تخيل مجتمعا ، كما يقول هو ولعل هذه نظرته الى مجتمعنا ، محروما من الحب . فهو عندما يرى أمامه قصة حب ضعيفة يتابعها بانفعال ، ثم يتفكك هذا الشعور ربما عندما تتهاوى هذه القصة ، يتهاوى هذا الشعور الذي جمع الناس حوله . وهذا التفكير يعبر بالطبع والى درجة كبيرة عن احساس ابو المعاطي نفسه اكثر مما فيه من صراع او بحث عن نماذج ... أي انه يلتقط من المجتمع شيئا ، لكنه يبلوره في نفسه تقريبا ، كما يبلور احساسا صالحا للاداء في قصة شعرية ، ثم يؤديه في قصة . ومن هنا يتضح « الرسم » قليلا ، مما يلجئه الى شيء من المبالغة لكي يتم تبين الاختلاف الذي يريد ان يؤديه . على اني أريد أن أؤكد ان في هذه المجموعة ، وأنا شديد الاسف لاني لم أقرأ المجموعة الوسطى ، تقدما واضحا جدا بالنسبة للمجموعة الاولى ، برغم انها كانت طيبة .

د. عبد القادر القط : لا أريد أن أسرف في الاتجاه نحو الواقعية في احتجاجي على هذه العاطفية . انما يخيل الي انه لو كان الاطار الذي وضعت فيه القصص بعيدا عن المدينة لربما كانت تصبح اكثر احكاما ، في اوتوبيس ريفي ، فمثلا هؤلاء الركاب يركبون من محطة معروفة . وركاب الاوتوبيس هم هم معروفون . اما في المدينة فان الحادث اذا ما ناقشه المرء منطقيا ، وأنا بالطبع لا أريد أن أسرف كثيرا في هذه المسألة ، فانه يندر جدا ان ينشغل الناس بهذه المسألة . وخاصة ان الناس في المدينة لا يمكن ان يتتبعوا شابا وفتاة بالذات ، وان يركبوا من نفس المحطة في نفس المكان في نفس الموعد ، وأن يراهم نفس الناس .. لعل هذا كان يعطيها شيئا اكثر من الاقناع ..

أبو المعاطي ابو النجا : انتظرت في الحقيقة لكي أسمع وجهة النظر هذه ، وهي جميلة جدا . وأنا بالفعل أريد أن أقول ان الاطار الذي اخترته هنا لهذه القصة او لملاحظة هذه القصة العاطفية هو الذي يبرر هذه الحساسية . أي ان في المسألة شيئا خاصا أرضى رؤيتي ، فرض علي الواقع ان اقوله واصنع منه اطارا متحجرا افرضه على الشخصيات ..

د. شكري عياد : لا .. ان الامر لا يصل الى هذه الدرجة .. درجة التحجر ..

ابو المعاطي ابو النجا : أريد أن أقول ان الاوتوبيس كبيئة مزدحمة، تغدو فيها العلاقات الانسانية مشوهة بالفعل . وهو الذي جعل هذه العلاقة بين البنت والولد ، كبيئة ، تتم داخل هذا الاطار . الجاذبية.. أريد أن أقول لو ان الولد والبنت كانا في أي مكان اخر لما اثارا هذا الاهتمام . لو اني رأيتهما في الشارع وأنا أسير وحدي لما نظرت اليهما طويلا بهذه الاهمية . أما أن أراهما وأنا في الاوتوبيس مخنوق ومحشور وروحي « طالعة » كل يوم ... هذا امر يجعل هذه العلاقة التي قد لا تلفت النظر في اطار اخر ، تقدم لي الناس وهم يرون ان العلاقات بينهم تتحطم وهي تتحول الى أجساد وأرجل وأذرع وشيء رهيب فعلا مما يجعلهم حساسين بالبيئة بهذه الصورة الجميلة لدرجة انهم انفسهم لا يزاحمونهم . اي اننا حين نراهم نبصرهم وقد محاهم من الازدحام اطار وهمي .

د. عبد القادر القط : هذا كلام قلته أنت في القصة بالفعل ، لدرجة جعلتها كأنها رمز لهذا الشيء الجميل المفقود وسط التزاحم .

ابراهيم الصيرفي : وحتى لو لم يكن لها وجود في الواقع .. هو يريد افتراضها في مثل هذه البيئة .

ابو المعاطي ابو النجا : هذه نقطة .. النقطة الثانية يا دكتور عبد القادر هي اعتراضك على هذا الحوار « ومضى يوم وثان وثالث الخ » ، هذا التصوير يبدو بالفعل غير واقعي اذا ما رحت تبحث عن المقابل الحرفي له ...

د. عبد القادر القط : لا .. لا اقصد المعنى الحرفي .. أقصد الاهتمام الشديد .. بغض النظر ..

ابو المعاطي ابو النجا : لا بد هنا من عملية تجريد وتكثيف للحظة، حتى يمكن تصويرها ، أعني انها لا يمكن ان تصور في غير هذه الحالة . كان هناك من يتكلمون بالفعل .. ولست أريد أن أدافع عن القصة بكلام ساذج فأقول ان هذه الحكاية قد حدثت .. انما اريد أن أقول بحدوث مثل هذا الاحساس بالفعل . تخيل هؤلاء الناس في هذا الموقف ، من الممكن جدا في تقديري أن يكونوا رمزا للعلاقة الانسانية الجميلة التي يحس الانسان بفقدها في مثل هذا الاطار . وهنا لا نحتاج الى الريف . اذ لو كان أحد أوتوبيسات الريف كما قلت سيادتك لما حدثت هذه القصة . بل لحدث العكس .. لضربوها بدلا من الفرحة بهما .

د. عبد القادر القط : لانهما يركبان معا ؟

ابو المعاطي ابو النجا : لانهما يركبان ويتحابان ..

د. شكري عياد : أتأذنون لي في التعقيب على هذا بشيء ؟.. بالمقاييس الواقعية لا يمكن أن ندافع عن مثل هذا الحوار . فالحوار الذي يدور بين هؤلاء الناس ، والذي قرأه الدكتور عبد القادر شعر لا جدال . ولا يمكن أن يتكلم به الناس بصرف النظر عن انه بالفصحى، وهم لن يتكلموا الفصحى ، حتى المعاني لن ترد على أذهانهم . غير اني أدافع عنه لاني أعتبر ان من حق الكاتب ان يكون شاعريا في قصته ، ومن حقه ايضا ان يكون رومانسيا ، ولكن ليست تلك الرومانسية الساذجة أو الدامعة أو الصارخة . رومانسيا بمعنى أنه يكشف في الحياة ما فيها من العواطف القائمة والاشواق غير المتجسدة التي نراها هنا والتي رأيناها في قصة « ذراعان » .. على ان يكشفها بحساسية ودقة دون ان يضخمها تضخما يخرج بها عن المعقول . فالفتى والفتاة اللذان رأيناهما في السينما انصرفا عقب العرض ومضى كل منهما لحال سبيله ، أي ان هذه الصورة خلت من أي نفخ يحولها الى احلام صبية مراهقين . وهنا ايضا ، بالرغم من القطعة التي قرأناها ، وبرغم انها قطعة شاعرية الا انها لم تخرج عن كونها تبين كيف يستطيع الحب أن يخصب الجدب . وبعد ذلك يختفي الحبيبان ويذهبان .. في غاية

الواقعية .. يذهبان ويفترقان حتى يراها من منظر يبدي لنا كلواقعية الحياة او نثريتها .. حين ذهبت عنها كل ما في العلاقة العاطفيـــة من جمال وغدت بنتا ككل البنات لا تلفت النظر .

يخرج الكاتب من هذه العواطف التي تغلب عليها الضبابية وعدم التحدد ويستطيع آن يصورها لنا تصويرا دقيقا ينجو من هذا الانحدار الى احلام اليقظة او الى الرومانسية الدامعة او المائعة او اي صفـة مـن هـذه ..

د. عبد القادر القط : احب في الحقيقة ان نترك هذه الفكـرة لكي نتكلم عن بعض جوانب المجموعة . لاحظنا ان الاستاذ ابو المعاطي يختم قصته في بعض الاحيان ببعض العبارات التي تبين دلالتهـا النفسية او الاجتماعية . واحيانا تكون هذه الدلالات مفهومة بالفعـل من القصة ، وفي بعض الاحيان تعطي القصة معنى جديدا . ومن هذه القصص قصة « العودة من المنفى » وقد وفق فيها الى اعطاء صـورة جديدة تغفر له بعض الاطالة ، وهذه القصة حكاية شاب وفتاة يعملان معا ، خيل اليه انها متجاوبة معه عاطفيا . لكن في لحظة ما من لحظات هذا التجاوب صدته عنها فجأة وشكته للمدير ، ثم تبين بعد هذا انها كانت تحمي نفسها لان فراشا رأى هذا الموقف العاطفي . والحـق ان المرء حتى اخر القصة ، يحس نحوها بهذا الاحساس الذي تكلمنا عنه، ولكن في السطور الاخيرة بدات القصة تاخذ معنى جديدا يغفر لها هذه الاطالة ، وهذه العاطفية ايضا . وتلك السطور هي : « الشيء الغريب الذي بدا يدركه يوما بعد يوم ، ان جميع زملائه في الشركة بعـد ان اطمانوا لثبوت التهمة عليه ، والى انه لم يعد الشخص الذي يعتز به المدير ، ولا يكف عن الحديث عن امتيازه وخلقه والى انه اصبح مثلهم لا يقف فوق مستوى الشبهات ، قد اصبحوا اقرب اليه مما كانـوا ، وفجاة اكتشف انه هو ونوال وهم يقفون فوق ارض واحدة .. وكانت تلك اخر وربما اعظم مكرمة لشاهد الاثبات الوحيد ! » (ص ١١١) اي الفراش الذي رآهما . هذا يعطي للقصة كما قلت معنى جديـدا يتجاوب مع عنوانها الذي يتعجب المرء حين يقراها لماذا سميت بـه . لقد فهم هذا الموظف ان زميلته التي يحبها لم تنكر عاطفته وانما كانت تحاول ان تحمي نفسها ، وتحمي علاقتهما معا .

ابراهيم الصيرفي : اسمح لي يا دكتور .. كان هذه الاسطر التي ختمت بها القصة اذا لم ترد .. هل كانت القصة توحي بها ؟ هي كما نرى جاءت هنا بطريقة تقريرية ، ممكن جدا ان تكون شبه تفسيرية .. ياتي بها الكاتب او غير الكاتب ..

د. عبد القادر القط : لا .. لم يقلها الكاتب .. بل الشخصية .

ابراهيم الصيرفي : هل هي داخلة في البناء .. ام آتيـة من الخـارج ؟

د. عبد القادر القط : القصة القصيرة تحتمل احيانا ما يسمى « بالتويست » اللفتة الاخيرة التي يقولها الكاتب وتعطي دلالة جديدة للاحداث .. وهي ليست مرفوضة فنيا كما اعتقد ... لانه تكلم قبـل هذا عن هذه الشخصية . شخص مرموق معتز بكرامته والمدير يحبه لانه يثق فيه . ولم يكن اهتمام الناس بهذه المسألة راجعا الى اهتمامهم بشيء عاطفي ، وانما اهتمامهم بسقطة هذا الموظف .

ابراهيم الصيرفي : اذ غدا بذلك من الناس .. اصبح واحـدا منهم . ولكن كيف اصبح منهم .. هذه مسالة تحتاج وحدها الى قصة فنية تبين لنا كيف حدث هذا ..

د. عبد القادر القط : لمجرد آن ظهر ما فيه من ضعف انسـاني يشترك فيه الجميع ..

ابراهيم الصيرفي : ظهر هذا هنا بطريقة منطقية .. لا فنية ..

د. عبد القادر القط : لكنه مهد لذلك كما قلت بموقف الناس منه.

ابراهيم الصيرفي : وما دامت القصة قالت هذا فان التعليـق لا يكون قد جاء بجديد ..

د. عبد القادر القط : ليس تعليقا ..

ابراهيم الصيرفي : اعرف هذا . هو كلام البطل نفسه . لكنـه تقريري .. كتعليق .

د. عبد القادر القط : لعل الكلام الذي تقوله ينطبق على قصـة « العنكبوت » ، وهي قصة تبدا وتنتهي بان يقول بطلها في اخر القصة، وهو شخص ثرثار يتحدث دائما حديث سوء عن الاخرين ويستغل فضول الناس ورغبتهم في الاستماع الى اخبار الغير ، يقول في اخر القصة : « كانت هناك حشرة ضخمة تحاول عبثا آن تتخلص من الخيوط الرقيقة اللزجة التي لا تكاد ترى ، ولكنها في كل محاولة كانت تزداد التصاقـا بها ، وتزداد ضعفا ، وشيئا فشيئا خفت الصوت .. صوت الحشرة ، كانما اضناها الصراع ، وامكنه آن يلمح من مكانه العنكبوت وهو يتسلل من مكمنه ضعيفا واهنا قويا لا يكاد يظهر .. يتسلل الى الحشرة التي كفت عن ان تقاوم واستسلمت لمصيرها المحتوم » (ص ٣٤) . فـي هذه الاسطر بالطبع مقارنة بين هذا الموظف الثرثار السيىء الخلـق وبين ضحاياه من الناس الذين يتكلم عنهم .. لكن عنوان القصة نفسه، ولا اتحدث عن احداثها فاحداثها تؤكد العنوان ، والمرء حين يقرا عنوانا يحاول ان يتلمس وجوده في احداثها . اقول ان احداث القصة تغني القارىء عن هذه النهاية ، ومع ذلك فان الاشارة الى العنكبوت في داخل القصة كانت اشارة فنية جدا وجميلة وخفيفة . يقول حين دخـل : وفي تلك اللحظة وقعت عينا شاكر فجاة على خيوط عنكبوت تملا جزءا من الفراغ العلوي خلف الباب المغلق ، كيف ينسى الفراش ان ينظف المكان ؟ » . وبعد هذا حين دخل هذا الرجل في مكان من القصـة بالذات . هذه لمحة ذكية جدا وكان يمكن ان تغني عن نهاية هـذه القصـة ..

د. شكري عياد : لقد سعدت جدا بمناقشة هذه المجموعة للاستاذ ابو المعاطي بعد آن ناقشت مجموعته الاولى ، ونحن في انتظار مجموعات اخرى ممتازة كهذه او اكثر كما رأينا من الفرق بين المجموعتين ، على جودة الاولى .

د. عبد القادر القط : في الحقيقة اني حين تكلمت عن الشعر ومدى صلاحيته للقصة وانا اعتقد ان الشعر ، احيانا ، واذا كان الموضوع نفسه لا يتصل اتصالا قويا بأوضاع المجتمع او بمواقف خاصة بالناس ، كان من اصلح الاساليب للقصة الشعرية او القصة القصيرة . واجمل القصائد الدالة على ذلك في هذه المجموعة هي قصة « زيارة » التـي يتحدث فيها الراوي عن زيارته لابيه بعد آن مات ، وعن صلاته العاطفية القديمة ، وعن تطلعه الى لقاء أبيه في عبارات شعرية من أجمل النثر العربي . وفي القصة خروج من هذا الموقف العاطفي الى دلالات انسانية كبيرة . فانا في الحقيقة لا اعتراض لي على الشعر في القصـة . واعتقد ان الاستاذ ابو المعاطي ابو النجا قد خطا خطوة كبيرة في سبيل الارتباط بمواقف انسانية ، وان لم يكن لدي اعتراض ايضا على المواقف الفكرية التي كانت في الحقيقة لونا جديدا طرا على القصة القصيرة في أدبنا العربي .. حيث كانت القصة عندنا تفتقده وتفتقد اصالتـه ودقته واخلاص الكاتب في جميع هذه الجزئيات الصغيرة في مـوقف قد لا يحسنه كثير من الكتاب .

د. شكري عياد : اجمل ما لاحظته وما يمثل تقدما واضحا هو ان الاستاذ ابو المعاطي يتكلم باستمرار كيف يخفي فنه . اي ان رسمـه للقصة ما عاد بالوضوح القديم ، وحساسية الكاتب تتسرب تماما الى حساسية ابطاله ، والجملة نفسها تتطور الى البساطة . الجملة التي لا يستطيع الكاتب ان يصل اليها فعلا الا بعد كثير من المعـاناة وكثير من التعب . ولهذا كله ارى ان المجموعة التي ناقشناها ، سواء القصة التي قرئت او القصص التي اشرنا اليها ، هي اضافة جديـدة لنتاجنا في القصة القصيرة .

د. عبد القادر القط : ويكفي فيها ايضا ، في هذا الاطار الفني الناجح ، هذا المعنى الانساني النبيل الذي ينتظم المجموعة كلها .